المملكة المغربية
وزارة التربية الوطنية والتكوين المهني
والتعليم العالي والبحث العلمي

ⵜⴰⴳⵍⴷⵉⵜ ⵏ ⵍⵎⵖⵔⵉⴱ
ⵜⴰⵎⴰⵡⴰⵙⵜ ⵏ ⵓⵙⵎⵔⵙ ⴰⵎⵙⵓ ⴷ ⵓⵙⵎⵔⵙ ⵓⵙⵙⵏⵜⵉⵔ
ⴷ ⵓⵙⵙⵏⵎⵔ ⴰⵏⴰⵎⵓ ⴷ ⵓⵙⵙⵉⵙ ⴰⵎⴰⵏⵓⵏ

الإنشاء الفلسفي (صيغة السؤال)

. **هل تتأسس النظرية العلمية على التجربة أم التجريب؟**

1. مطلب الفهم:

يُسافر بنا السؤال إلى المجال الإشكالي النظري الإبستيمي لمجزوءة المعرفة المرتبط بمفهوم النظرية والتجربة، وتحديدا محور التجربة والتجريب، الذي يطرح عدّة مفارقات ومعضلات، توضحها الثنائية التالية:

تتأسس النظرية العلمية على التجربة \ تتأسس النظرية العلمية على التجريب.

مما يدفعنا إلى بسط هذه الإشكالية:

- **ما دلالة الاختلاف بين التجربة والتجريب؟**
- **وكيف تقود خطوات المنهج التجريبي إلى بناء نظرية علمية؟**
- **وهل يقتصر التجريب على التجريب الواقعي أم ينفتح على التجربة على الذهنية الرياضية؟**

وأعمِّق الإشكالية بهذه التساؤلات الموجهة للتحليل والمناقشة:

- **ما النظرية العلمية؟**
- **ما التجربة وما التجريب؟**
- **وهل تتأسس النظرية العلمية على التجربة أم التجريب؟**

2. مطلب التحليل:

أستهل الاشتغال على الموضوع بشرح المفاهيم المؤطرة للسؤال، بدءا بمفهوم النظرية العلمية التي عرّفها لالاند في معجمه الفلسفي بأنها إنشاء تأملي للفكر يربط نتائج بمبادئ، ثم مفهوم التجربة التي تدل على مجموع المغارف والخبرات التي يكتسبها الإنسان في علاقته المباشرة بالواقع مما يجعلها مجرد معرفة عامية حسية، في حين أن مفهوم التجريب فيشير إلى المساءلة المنهجية للطبيعة اعتمادا على خطوات نظرية ومنهجية دقيقة وصارمة.

ومن خلال الشرح المفاهيمي تستنتج أن العلاقة بين النظرية العلمية والتجريب علاقة اتصال وتلازم، عكس التجربة العامية التي شكلت عائقا أمام بناء النظريات العلمية.

هكذا تقودنا البنية المفاهيمية إلى أطروحة مفادها أن النظرية العلمية تتأسس على التجريب لا التجربة بمعنى أن المعرفة العلمية تنبني بقطيعة تامة مع التجربة العامية العفوية، لكونها تجربة حسية حبلى بالمغالطات والأخطاء والأوهام.

ولدعم وتأكيد هذه الأطروحة أستشهد بمثال مركزية الأرض للفيلسوف أرسطو الذي اعتبر الأرض ثابتة ومستوية انطلاقا من ملاحظته العفوية أي التجربة الخام، وهذا ما دحضه العالم غاليلي بواسطة التجريب العلمي الصارم والمجهز، حيث أثبت الفرضية الكوبرنيكية القائلة بمركزية الشمس ودوران الكرة الأرضية.

3. مطلب المناقشة:

تكتسي الأطروحة المدافعة عن التجريب كأساس للنظرية العلمية، قيمة علمية، عملية، إنسانية وحضارية، سيما وأن التجريب بخطواته المنهجية المنظمة أفضى إلى ميلاد العلوم التجريبية التي صحّحت الكثير من الأخطاء والأوهام التي عمّرت طويلا كنظرية مركزية الأرض البطلمية، فضلا عن نتائجها العملية المتمثلة في الثورة الصناعية وما قدمته للبشرية من خدمات في مختلف المجالات، ولهذا التصور عدة مناصرين من بينهم العالم والفيلسوف فرنسيس بيكون الذي أكد أن المعرفة قوة وهي تكتسب قوتها من علميتها التجريبية التي تمكّن الإنسان من التحكم في الطبيعة وتسخيرها خدمة للخير الأسمى للبشر.

رغم وجاهة هذا التصور الذي يعلي من قيمة التجريب كركيزة للمعرفة العلمية، إلا أنه ينطوي على بعض الثغرات، خصوصا أمام الأزمة التي واجهها التجريب الكلاسيكي في دراسة الظواهر الماكرو والميكرو فيزيائية، وبحثوا عن بدائل وحلول علمية لهذه المعضلة من بينها، دعوة عالم الرياضيات روني طوم إلى المزاوجة بين التجريب الاختباري والتجربة الذهنية بغية مقاربة الظواهر الفيزيائية المعقدة، وهو ما توّج بتقدم الخيال العلمي، وتحول المعرفة العلمية من معرفة ثابته مطلقة يقينية إلى مقاربة نسبية متغيرة احتمالية.

ولتعميق النقاش في هذا الموضوع أنفتح على علاقة العلم بالإيديولوجيا، كيف لا والمعرفة العلمية أخلفت وعودها في خدمة الإنسانية وإسعادها، وأصبحت في خدمة حفنة من البشر يلهثون وراء الربح ولو على حساب حياة وتعاسة أغلب الناس، ناهيك عن المآزق الأخلاقية التي تورّط فيها العلم

المعاصر من حروب عالمية لبيع الأسلحة، وتحويل العالم إلى سوق متوحّشة شعارها كل شيء للبيع.. بما في ذلك الإنسان بتعبير الفيلسوف إريك فروم.

4. مطلب التركيب:

يسعى التفكير الفلسفي في علاقة المعرفة العلمية بالتجريب، إلى العديد من الرهانات الكبرى أهمها التربية على أهمية وضرورة التفكير العلمي والقطع مع الخُرافة، لأن التسلح بالعلم هو الملاذ في الشدّة والرخاء، وهذا ما اتضح جليا مع وباء كورونا حيث الدول التي راهنت على المدرسة والتعليم والعلم تمكنت من محاصرة الوباء والتخفيف من حدّته، ناهيك عن دور العلم في تقدم تلك الدول وما حققته لشعوبها من رخاء وعيش كريم، وانتصار على معضلات الحياة.

أعتقد أن العلم سلاح ذو حدّين فهو بلسم يشفي الآلام ويُحقِّقُ الأمال متى استُخدِم لغايات إنسانية سامية، لكنه قد يتحول إلى دمار شامل حين تختطفه الإيديولوجيا المتوحِّشة، وهذا معنى عبارة رابلي الشهيرة "عِلمٌ بلا ضمير ما هو إلاَّ خراب للروح".

***

الجوانب الشكلية:

- **وضوح الخط ـ سلامة اللغة ـ تماسك العرض.**